

الانقلاب الديني كان يطلب رجلاً عملاقاً في العلم والشخصية وفي العقل والمواهب ، إنه كان يحتاج إلى عبقرى عظيم ومجدد كبير يتجرد لمقاومة هذا التيار العنيف الجارف فيحوله من جهة إلى جهة وبغير مجرى التاريخ .

### الامام أحمد السرهندى :

إن لله في دينه شئناً ، ومن شئونه أن يخلق لكل عصر ، رجلاً من رجال الاسلام ، ولكل غرض سهماً من السهام التي لا تطيش ، فإن الله قد تكفل بحفظ هذا الدين القويم والذكر الحكيم ، لقد وجد هذا المصلح في شخص رجل يقال له (الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندى) تخرج في علوم عصره كما تخرج أكبر عالم ، وبرع فيها ، وجمع إلى كفايته العلمية ودراسته المتقنة تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله ودوام الذكر وحضور القلب ، تخرج في ذلك على شيخ كبير من شيوخ الطريقة النقشبندية الشيخ عبدالباق البدخشي نزيل دهلي ، واستعان به أبو الفيض (الفيضي) في ما التوى في كتاب (سواطع الالهام) فرأى عنده القريحة الوقادة والعلم الحاضر ، وعرضت عليه المناصب في الدولة فرفضها لأنه لم يخلق ليشارك في إدارة هذه الدولة الجائرة إنما خلق ليقومها أو يكسرها - إذا لم يستطع أن يقومها - وينشئ منها دولة إسلامية جديدة .

رأى الشيخ أحمد اتجاه الدولة ومعاداتها للدين ومحاولة القضاء على الاسلام في هذه البلاد ، فاهترت مشاعره ، وتكدر صفو حياته وطار نومه ، وملكت هذه الفكرة عليه شعوره وعقله ،

وأصبح لا يفكر إلا في إصلاح الحال ، والرجوع بالدولة إلى وضعها الاسلامى والمحافظة على مستقبل الاسلام فى هذا القطر العظيم .

### الخطر فى الثورة العسكرية :

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ولا أمل فى انجاح الثورة ، فهو رجل فريد وحيد لا يملك إلا قلبه وقلمه ، ولا أمل فى الانقلاب العسكرى فالدولة شابة فتية لم يصيبها شىء من الهرم والضعف بل قد توسعت وتوطدت فأصبحت إمبراطورية عظيمة وهى الامبراطورية الثانية التى عرفتها الهند بعد امبراطورية أشوكا ، وقد كسب الامبراطور أكبر ود أمراء الهند وإقبالها بتوجهه فيهم وتقريبهم إلى نفسه ، فأصبحت دولة راسخة مشيدة البنيان موطدة الأركان ، لها وزراء من كبار راجبوت ، وجيش قوى من أقوى جيوش العالم وأحسنها تدريباً ونظاماً ومالية عظيمة ، فكيف يقاوم هذه الدولة المنظمة وكيف يودى رسالته ويقوم بمهمته ؟ إنها المهمة تنوء بالعصبة أولى القوة فكيف بفرد فقير يسكن فى قرية ..!

### من أين يبدأ الإصلاح ؟

ولكن الشيخ أحمد صمم على أداء رسالته ، واهتدى فى تفكيره المخلص المجهد إلى نقطة مهمة وهى نقطة الفتح ، إن الملك قد أفسده المفسدون فثار على الدين وانحرف عن الجادة ، ولكن ليس هو الدولة كلها ، وليس هو الشعب كله ، وقد كتب عليه الموت ، وهو خاضع للسنن الألهية ، فيموت ويخلفه غيره ، فلا بد أن أودى رسالتي وأتصل ببلاطه وأركان دولته ، ولا موجب للقنوط

من الفطرة الانسانية فالصلاح فيها أصيل ، والفساد عليها طارى ،  
فلأجرب ولأحاول . وإن الله ناصر من نصره وخاذل من خذله .

### الأسلوب الحكيم :

جرد الشيخ أولاً نفسه وفكره من كل أمل وطمع فى ما عند  
هؤلاء من مال ونشب وعز وجاه ، وركز فكره على الاصلاح  
والنصيحة حتى رأى أن ما عندهم من دنيا لا يساوى فى نفسه إلا  
جيفة عليها كلاب ، ثم اتصل برجال البلاط الملكى وأركان الدولة  
وتعرف إليهم ، فإذا هم يجلونه ويحلونه من نفوسهم محلاً لا يجلونه  
المتملقين والمتزلفين ، ويعرفون أن هذا الرجل من طراز آخر غير  
الطراز الذى جروه ، ان هذا رجل قد تمرد على المادة ، وتمرد على  
المجتمع ، وخرج من سلطان المطامع والشهوات ورأوا فيه من قوة  
النفس والحرية ومعانى الإنسانية السامية ما لم يروه فى نفوسهم ،  
ورأوا أنفسهم أقزاماً لا يتناولون إلى إنسانيته الرفيعة ورجولته  
الشامخة ، فخضعوا له كما يخضع كل صغير للكبير ، وكل فقير  
للغنى ، وتضاءلوا أمامه كما تضاءل الكثران والربى أمام الطود  
الشامخ والجبل الناطح للسحاب .

وهنا يقع بالسلطان أكبر حادث الموت ، ويخلفه ابنه جهان كير  
وهو يحمل للشيخ من التقدير ما لم يكن يحمله هو . ولكن بلاطه لا  
يخلو ممن يضممر للشيخ العداة ويحسده ، فدبروا له المكيدة ، وزينوا  
للملك أن يطلبه ويمتنحه ، وحضر الشيخ فعلاً ، وكان من العادات  
المتبعة أن كل من يدخل على الملك يسجد له تحية ، فامتنع الشيخ  
وحياه بتحية الاسلام ، فثار نائر الملك وسجنه فى معتقل كواليار ،

ولبت في السجن بضع سنين ، يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين إلى الاسلام ، فأسلم على يده - كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية - مئات من المسجونين .

ثم ظهرت للملك براءة الشيخ وعلو منزلته ، فأطلقه ودعاه وأكرم مثواه ، وقضى الشيخ شهر رمضان عند الملك والملك يصلى خلفه التراويح ويذاكره ويفيد منه في الدين ، حتى رسخت في قلبه محبته وعلت في عينه منزلته فرد الشيخ إلى وطنه مكرماً مبعجلاً .

### التأثير في بلاط الملك ورجال دولته :

ونشط الشيخ في التأثير في بلاط الملك ورجال دولته وجيشه وراسلهم وراسلوه وبايعه منهم كثير وأحبه أكثر ، وتأكدت الصداقة بينهم ، فكان الشيخ يكتب إليهم رسائل رقيقة مرفقة تأخذ بمجامع القلوب وتمز النفوس ، وهي من أبلغ الرسائل وأعظمها تأثيراً في القلوب ، يصور لهم غرابة الاسلام في بلاده فيبكي ويبكى ، يقول في رسالة : «واحزناه ، واحسرتاه ، وامصيبته ، إن اتباع محمد ﷺ - وهو محبوب رب العالمين - غرباء مهانون في بلادهم وأعداؤه مكرمون ، إن الباطل بارز منصور ، وإن الحق مخذول مستور» .

ويقول في رسالة : «لقد أتى على الإنسان والمسلمين حين من الدهر في هذه الديار - يعنى به عهد الملك أكبر - إذا عمل مسلم بحكم شرعى يسجن ويعاقب ويهان ويعذب ، والديانات كلها حرة متمتعة بكل حق ، لقد شمت بالمسلمين الأعداء وسخروا منهم ، وأصبحوا هدفاً لكل تجريح وإهانة» .

ويستثيرهم رجال الدولة المسلمين ويستنهضهم لخدمة الاسلام وإقالته من عثاره ، فيكتب إلى خانخانان - وهو قائد قواد الجيش والركن الأعظم للدولة - «إن ميدان البطولة الاسلامية لا يزال خالياً ينتظر فارساً من فرسان الاسلام ، فهل تسبق إلى هذه السعادة وتحرز قصب السبق وتنصر هذا الدين المظلوم ، وتغضب لهذا الحق المهضوم ، وتبلغ بجهادك إلى حيث لا يبلغه المتعبدون الصائمون ، فحيلاً يا أهل الغيرة والفتوة ويا أهل الشهامة والمروءة» .

وهكذا يكتب إلى خان أعظم أكبر الأمراء في عهد جهانكير والسيد فريد أحد الوزراء والمستشارين في الدولة ، وقد نفذ بروحانيته في قلوبهم وسيطر على عقولهم ، حتى كان يملئ عليهم الأحكام كما يملئ ملك البلاد ، فيمثلون أمره وينفذون رغباته ، ويوجه الدولة وهو قاعد في زاويته بسرهند توجيهاً دينياً بواسطة تلاميذه الروحانيين وخدمه المخلصين الذين يديرون دفة الحكومة .

سمع مرة أن الملك جهانكير يفكر في أن يجمع حوله جماعة من كبار العلماء الذين يثيرون عليه في أمر الدولة ، واستعان بوزارته أن يختاروا له هؤلاء العلماء ، فحذرهم الشيخ من سوء العاقبة والوقوع في ما وقع فيه الملك أكبر ، وتورطت بسببه الدولة الاسلامية في الالحاد والكفر . فقال : إياكم أن تجمعوا حول الملك علماء السوء المتنافسين ، ورجال المادة الطامعين ، وقطاع الطريق ولصوص الدين ، فيفسدون فكرة الملك ويضرون الدين من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، ولكن اختاروا له صفوة من العلماء الذين تجردوا عن حب المال والجاه وخلصوا لدينهم أو اختاروا له رجلاً واحداً ممن يتقى الله ويخشاه من الراسخين في العلم .

بتغيير اتجاه الدولة وترجع الهند إلى الاسلام :

وظل الشيخ مثابراً على دعوته إلى وفاته (سنة ١٠٣٤هـ) حتى تغير اتجاه الدولة وتغيرت سيرة الملك ونفسيته ، وأصبحت الدولة تتقدم كل يوم من حسن إلى أحسن ، فخلف جهان كبير ابنه شاهجهان وكان له في الشيخ رأى جميل ومعه صلوات طيبة . هذا هو الملك الذى لما جلس على عرش الطاؤوس الذى كلفه ملايين من الجنيهات وكان تحفة فنية ، نزل عنه وخر لله ساجداً وقال : عجباً لفرعون جلس على عرش من الآبنوس فقال : أنا ربكم الأعلى ، وها أنا ذا أسجد لله شكراً وأقع له ساجداً مقراً بعبوديتى وضعفى وقدرته وكبريائه ، وبذلك تستدلون أيها السادة على تغير النفسية وتطور الدولة .

السلطان أورنك زيب من غرس الامام السرهندى :

وخلف شاه جهان السلطان العظيم الملك الصالح أورنك زيب عالم كبير وهو ممن عنى أولاد المجدد بتربيته وثقافته ، فنشأ متعبداً متبعاً للشرعة فقيهاً في الدين غيوراً عليه ، حريصاً على تطبيق أحكامه وإصلاح المجتمع الفاسد وتقوم الحكومة الزائغة ، وكان الشيخ محمد معصوم ابن الشيخ أحمد السرهندى وخليفته مهتماً بتربيته ومستقبلاً ، يخاطبه في رسائله «بناصر الدين ومعمل الشرعة» وقد طلب منه الأمير الشاب أن يرسل له من يريه التربية الروحية ، فأرسل إليه ابنه الشيخ سيف الدين السرهندى يعلمه ويفقهه في الدين حتى ظهرت فيه آثار الصلاح ، وبشر به الشيخ سيف الدين والده الشيخ محمد معصوم وأزال من قصره المنكرات .

## مآثر أورنك زيب الاسلامية :

وأراد الله بالمسلمين في الهند خيراً إذ كان أورنك زيب خليفة أبيه شاه جهان في الامبراطورية المغولية ، فانتصر به الدين وعز المسلمون ، وهان الكفر ، وزالت المنكرات ، وبطلت المكوس الجائرة ، ووضعت الجزية على غير المسلمين ، ويذكر المؤرخون من استقامة أورنك زيب على الشريعة الاسلامية ومن عبادته وصلاحه ما يدهش رجال هذا العصر ، فقد حفظ القرآن بعد جلوسه على العرش ، وجمع أربعين حديثاً وشرحها ، وأمر بتدوين الفتاوى لتكون دستوراً للمملكة ، وألف له لجنة كبيرة من العلماء وكان يشرف على هذه اللجنة ويطلع على عملها يومياً ويقراً قبل النوم كل ما كتب في هذا الموضوع ؛ وهي الفتاوى المشهورة (بالفتاوى الهندية) ويواظب على الجمع والجماعات ، ويلتزم صلاة الجمعة في جامع دهلي وإن كان بعيداً عنه ، ويصوم ثلاثة أيام في الأسبوع ويحبي ليالي رمضان بالتراويح ويخرج زكاة ماله ، وكان شديد الإنكار على المنكر ، شديد المحاربة للبدع والغناء والمزامير ، وكان مع هذا التدين أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند ، وأوسعهم ملكاً وأعظمهم سلطاناً ، وأقدرهم على الادارة وأعلمهم بالسياسة ، وقد انقلبت به الحكومة المغولية من دولة نائبة على الدين ثم دولة منحلّة ، إلى دولة متمسكة بالدين محافظة عليه .

## نجاح الامام السرهندي في مهمته وأهدافه :

وهكذا استطاع رجل وحيد بقوة إرادته وصدق عزمته ، وإيمانه القوى ومعرفته بقيمة نفسه ، واحتفاظه بقوته ، وإبائه من

أن ينفقها فيما لم تخلق له وما لا يعود على الاسلام بطائل ، وتجرده للدعوة ، وتركيزه جهوده كلها على إنهاض الاسلام من كبوته في هذه الديار ، لقد استطاع هذا الرجل بهذا التوفيق ، أن يحدث انقلاباً في الحكومة واتجاهها ، واستطاع أن يقضى على عقيدة وحدة الوجود التي تغلغت في أحشاء التصوف ، والأدب والشعر ، وعلى فكرة استقلال الطرق عن الشريعة ، وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التي تسربت إلى المسلمين من الجاهليات المختلفة .

### ضعف الحكم الاسلامي في الهند :

ثم توالى على عرش الدولة التيمورية بعد أورنك زيب ملوك ضعاف من طراز الخلفاء العباسيين في بغداد في العهد الأخير لا يملكون من أمرهم شيئاً ، ينصبون ويعزلون كالأطمار البالية ، واضطرب جبل الدولة وكثرت الفتن والمصائب ، وهكذا لم تعد الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان والقدرة على توجيه البلاد - حيث إذا صلح الملك صلحت الدولة وصلحت البلاد كلها - فليس مركز الملك الجالس على عرش دهلي مركز القلب في الجسم إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ، إنما هو صورة لا تنفع ولا تضر ، إذن فلا بد من العناية بالشعب مباشرة بدل الحكومة ، والعناية بإصلاحه وتربيته وتثقيفه الاسلامي .

### الامام ولي الله الدهلوي :

هنا قام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي (م ١١٧٦هـ) المشهور بالشيخ ولي الله ، وهو أحد حكماء الاسلام ونوابغه وكبار



المفكرين الاسلاميين . من طراز الامام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية . فلاحظ خمس نقاط في حياة الشعب الهندي .

### خطته في الاصلاح :

- ١ - إن كثيراً من المسلمين قصرُوا في فهم (التوحيد الاسلامي) وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية . فلا بد من إبراز هذا (التوحيد) في نقائه ووضوحه وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الاسلام .
- ٢ - الشعب ليس له اتصال مباشر بالكتاب والسنة ، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه بعلّة تعذر فهمه للعامة ، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية ، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى لغة البلاد ولم ينشروا كتب الحديث ، فلا بد إذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد ، والاقبال على كتب السنة وحديث رسول الله ﷺ .
- ٣ - ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مزجاة في الحديث خصوصاً ، فلا بد من نشر علم الحديث ، فدرس الصحاح والموطأ ، وأقبل الناس على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الاسلامي في خدمة الحديث بفضل جهود هذا البيت العظيم ومؤسسه .
- ٤ - لاحظ أن العالم الاسلامي سوف يستقبل عصراً عقلياً وثورة فكرية ، فلا بد من إيضاح الفكرة الاسلامية وجلائها ، وبيان

أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الاسلامى . ولا بد من شرح نظام الخلافة فى الاسلام . وأساليب الاسلام وأسسها فى تنظيم الحياة والمجتمع . فألف كتاباً لا تزال فريدة فى مكتبة الاسلام العامرة منها (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء) . فى خلافة الخلفاء) .

٥ - لاحظ أنه لا أمل فى نهضة الأسرة الملكية الهندية وتجديد شباب الدولة التيمورية . لأنه - كما قال ابن خلدون - «إذا نزل الهرم بدولة لا يرتفع» فلا فائدة فى بذل القوة لإصلاحها وتقويتها . ولا بد من إعداد جماعة تحدث انقلاباً إسلامياً وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس دينى علمى جديد .

### نجاحه فى عمله:

قام الشيخ ولى الله وأصحابه بمهمة هذا التجديد الاسلامى خير قيام ، فنشروا العلم الصحيح وأذاعوا مصادر الدين الأولى وألقوا كتاباً دسمة قوية مبتكرة تمهد العقول والنفوس لأحداث انقلاب إسلامى وإنشاء دولة إسلامية ، وخرج تلاميذ ورجالاً ، يقومون بهذه المهمة ، وقام بعده نجله الأكبر سراج الهند الشيخ عبدالعزيز الدهلوى (١٢٣٩هـ) فدرس وألف ، وخرج وخطف التلاميذ الكبار والعلماء الفحول ، نشروا علم الحديث وشمروا عن ساق الجد فى نصر الدين ومحاربة البدع ، والدعوة إلى الكتاب والسنة وتركبة النفوس ، حتى نفقت سوق الحديث وقامت دولة العلم ، واستعدت النفوس للنصر المؤزر للدين .

الامام أحمد بن عرفان الشهيد ورفقته وتأثيرهم في الحياة :

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري قام السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد الذي تخرج على الشيخ عبدالعزيز - ومعه الشيخ محمد اسماعيل بن عبدالغني بن الشيخ ولي الله الدهلوي - فدعا الناس إلى الدين الخالص والتوحيد واتباع السنة ، وحارب الشرك والجاهلية والبدع محاربة سافرة شديدة ، وبث في الشعب روحاً دينية قوية لم تعهد من قرون متطاولة ، ودعا الناس إلى الإيمان والاحسان والتقوى والجهاد في سبيل الله ، وقام بجولات واسعة في الهند تاب في خلالها ألوف من المسلمين ، وأقفرت الخانات وغصت المساجد ، وكسدت سوق البدع ، والتف حوله المخلصون والعلماء الربانيون وخرج للحج عام ١٢٣٦ هـ ومعه أكثر من سبعمائة رجل ، وتشرف بالبيعة والتوبة مئات ألوف من المسلمين في هذا السفر ، وكان الناس يقصلونه من كل صقع ويدخلون في الخير أفواجا ، حتى لم يحرم ذلك المرضى في المستشفى ، وكان الناس يتساقطون عليه كالفراش ، وأسلم عدد كبير من الكفار ، وكان من تأثير مواعظه ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقفت تجارة الخمر في كلكتة - وهي كبرى مدن الهند ومركز الانجليز - وأقفرت الخانات واعتذر التجارون عن دفع ضرائب الحكومة لكساد السوق وتعطل تجارة الخمر .

وبعد الرجوع من الحج نادى الامام وأصحابه بالهجرة والجهاد في سبيل الله ، فهان على المتصلين بهم بذل نفوسهم والهجرة من أوطانهم والتخلي عن أموالهم ، وتلقوا التربية الحربية ، ثم هاجروا مع إمامهم السيد أحمد ووزيره الشيخ إسماعيل إلى بلوچستان ومنها إلى

أفغانستان ، فحدود الهند الشمالية حيث حاربوا «السك» الذين كانوا قد احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب ، وهزمهم غير مرة وكذلك كل من وقف في سبيلهم من أمراء الأفغان وهم يريدون أن يوغلوا في الهند ويحلوا الانجليز ويؤسسوا دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان ، وهكذا تتصل الدول الإسلامية بعضها ببعض حتى تكون سلسلة من حكومات إسلامية ، وأسسوا فعلاً دولة في الأرض التي فتحوها وتقع فيها مدينة «بشاور» ، وطبقوا نظام الإسلام المالى والادارى تطبيقاً دقيقاً ، وظهر منهم من تنفيذ أحكام الشرع على أنفسهم وعلى غيرهم ومن الجمع بين العبادة والجهاد ، والأمانة والعدل والاستئانة بالحياة والعزوف عن الشهوات ، والرحمة بالمسلمين والشدة على المخربين من الكفار ما جدد ذكريات القرن الأول .

ولكن لم تشأ أهواء رؤساء القبائل الأفغانية ومصالحهم المالية أن تبقى هذه الحكومة التي تحكم بما أنزل الله وتفرض عليهم أحكام الإسلام المالية والقضائية ، فثاروا على عمالها وقتلوهم ركعاً وسجداً ، وهاجر بقية المجاهدين مع إمامهم إلى وادى «بالاكوت» في طريقهم إلى كشمير التي كانوا يريدون أن يتخذوها مركزاً لنشاطهم ، وهنا حصلت آخر معركة بينهم وبين جيش عظيم من «السك» الذى اهتدى إليهم بدلالة بعض المأجورين من المسلمين ودهمهم ، وقتل الامام وكبار أصحابه ، وذلك سنة ١٢٤٦هـ واعتصمت البقية الباقية بالجبال ولم يزالوا قائمين على الحق ، مرابطين على الثغر ، مشمرين عن ساق الجدد ، إلى آخر ساعة ، جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء .

مدرستان للداعين إلى الكتاب والسنة والعاملين بالحديث :  
 ونشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنة ونبت  
 البدع والخرافات . بعد ما قام تلاميذ الامام ولي الله الدهلوى وأنجاله  
 وأحفاده بتدريس كتب الحديث ومحاربة البدع والعادات الجاهلية  
 المحلية ، وقام السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد والعلامة محمد  
 إسماعيل الشهيد بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة  
 السنية ، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح والقرون المشهود  
 لها بالخير ، ونشطت العقول وتحركت الهمم ، وكثر الدعاة إلى الدين  
 والمكافحون للفساد ، وكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة ،  
 والمؤلفون في المقاصد الدينية ، في اللغة الأردية الشعبية في اسلوب  
 سهل واضح .

ونشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان تتفقان على  
 الأساس وتختلفان في المنهاج إحداهما مدرسة «صادق بور» (١)  
 السلفية ، رائدها العلامة ولايت على العظيم آبادى من كبار خلفاء  
 السيد الشهيد وأحد العلماء الريانيين في الهند في العهد الأخير ،  
 وهى متشعبة بروح دعوة التجديد والجهاد التى قادها السيد الشهيد  
 والعلامة الشهيد ، وهى تتسم بالجمع بين الدعوة وروح الجهاد  
 والعمل بالحديث وتركية النفس وعمارة الباطن ، على طريقة السيد  
 الشهيد والامام ولي الله الدهلوى والمجدد السرهندى .

والثانية مدرسة للعلامة السيد نذير حسين الدهلوى (المتوفى

١٣٢٠م) وهو تلميذ الشيخ محمد اسحاق بن أفضل الدهلوى سبط

(١) صادق بورجى من أحياء مدينة «بته» عاصمة ولاية بهار كانت مركزاً لأنصار السيد  
 الشهيد .

الشيخ عبد العزيز الدهلوى ، وقد اشتغل بتدريس الحديث الشريف مدة طويلة ، ورحل إليه العلماء والأساتذة من أقاصى البلاد ، وتخرج عليه علماء كبار ، درسوا وألقوا فى الحديث ، منهم العلامة شمس الحق الديانوى ومولانا محمد بشير السهسوانى ، والحافظ عبدالمتان الوزير آبادى ، والعالم الربانى السيد عبدالله الغزنوى الأمريترى ، وإبنة السيد عبدالجبار الغزنوى<sup>(١)</sup> وآخرون كان شعارهم العمل بالحديث ، وعدم التقيد بالتقليد ، وتختلف درجاتهم وأساليبهم فى التمسك بهذا الشعار والدعوة إليه .

وينخرط فى هذا السلك المؤلف الكبير العلامة السيد صديق حسن القنوجى الهيوالى المتوفى (١٣٠٧) وهو معاصر للسيد نذير حسين الدهلوى وتخرج على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوى والشيخ محمد إسحاق بن أفضل ، وعلى علماء الهند المحدثين ، وقد خدم علوم السنة بالتأليف والنشر وبذل الأموال الطائلة واحتضان العلم والعلماء .

### ثورة الهند ورد فعلها :

وفى سنة ١٨٥٧م ثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من الانجليز ، ولكن اخفقت هذه الثورة وحلت الحكومة الانجليزية محل شركة الهند الشرقية فكان الأمر أشد . ودخلت الهند فى حكم بريطانيا المباشر ، وكونت الامبراطورية الانجليزية . فتسرب اليأس إلى نفوس المسلمين وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم . وضعفت

(١) وكانا أقرب إلى مدرسته السيد الشهيد من زملائها الآخرين بالجمع بين العمل بالحديث والريانية الصافية والروحانية القوية .

روح المقاومة ، وهاجر كثير من العلماء ورجال الدين إلى الحجاز ، وأصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبي في الهند ضربة لازب ، وانبث دعاة المسيحية والقسس في القرى والمدن يدعون إلى المسيحية علناً ويشنعون على العقيدة الاسلامية والشريعة المحمدية ، ويعلنون أن دولة الاسلام قد زالت وأن عهده قد انقضى ودخلت الهند في الحكم المسيحي ، فليتها المسلمون لاستقبال هذا الحكم وليقبلوا على دين الحكومة وطبقت الحكومة نظام التعليم المدني وهو يهدف إلى تخريج طراز من الناشئة لا يصلح إلا لإدارة جهاز الحكومة الانجليزية وتنفيذ برامجها ، وكثيراً ما كان أفراد الجيل الجديد ينسلخون عن الاسلام انسلاخاً كلياً ، وثورون على الحضارة الاسلامية والديانة الاسلامية بتأثير التعليم والتربية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الانجليز أو أشباه الانجليز ، وبسبب «مركب النقص» الذي أصيب به المسلمون في عصر الاحتلال ودهشة الفتح التي أصابتهم ، فأصبح المسلمون في عقر دارهم يغزون سياسياً وثقافياً ودينياً وانقطع الأمل في كل ثورة وانقلاب عسكري .

#### معهد ديوبند وخدمته للدين :

ولم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية ، فأنشأوا هذه المعامل ليحفظوا ببقايا الحياة الاسلامية وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي ، ويخرجوا منها دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين وعلماء الدين فليحفظوا على المسلمين دينهم ويعيدوا الثقة إلى نفوسهم ، فأسس مولانا محمد قاسم النانوتوى (م)

١٢٩٧هـ) (مدرسة ديوبند) سنة ١٢٨٣هـ ، وأسس مولانا سعادت علي (مدرسة مظاهر العلوم) في سبهارنפור في نفس ذلك العام ، ثم تواترت المدارس الدينية في أنحاء الهند ، وقد كان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية ، وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب ، ومحاربة البدع والخرافات ، وبث الروح الدينية في الجماهير ، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً .

وكان لأحد أبناء دار العلوم ديوبند وهو الشيخ أشرف علي التهانوي (١٣٦٢م) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق والدعوة إلى الله . وقد عمل وحده عمل مجمع علمي كبير ، وألف كتباً ورسائل تربو على ثمانمائة ، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً وأثرت في المجتمع الهندي الاسلامي تأثيراً عظيماً .

#### سر نجاح هذه المدارس :

وسر نجاح هذه المدارس - كديوبند وشقيقتها - في أداء رسالتها ونشر الدين والعلم ، أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة ، وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهاد ، فأثار ذلك فيها روح المقاومة والجهاد ، وقوة العمل والنشاط ، ثم إن أبناءها المتخرجين لم يكن لهم أمل - بطبيعة الحال - في وظائف الحكومة والرواتب الضخمة ، لأنهم تخرجوا من مدارس حرة لا صلة لها بالحكومة فألجأ ذلك أكثر المتخرجين إلى الانقطاع إلى الشعب دون الحكومة ، والتجرد للدعوة والخدمة دون المناصب والرواتب



وهكذا وجد دعاة متجردون محتسبون متطوعون يقنعون بالكفاف وينقطعون إلى الدعوة والرسالة ، فقاموا بأعمال إصلاحية لا تقوم بها أكبر دولة .

#### ندوة العلماء ومعهدنا :

ولما رأى بعض العلماء أن الهوة قد اتسعت جداً بين التعليم المدني والتعليم الديني ، وحدثت بين المتخرجين من المدارس الدينية والمتخرجين من المدارس المدنية فجوة وجفوة تسعان على مر الأيام حتى أصبح أولئك أمة وهؤلاء أمة . ولكل أمة لغة خاصة وثقافة خاصة ونفسية متميزة لا يفهما الآخر ، بل أصبح التعليم الديني في واد والعصر الحديث في واد ولا جسر بينهما وقد أصبح هذا العصر يطلب من العالم الديني ثقافة أوسع ، وأسلوباً للدعوة أرقى وأقرب إلى نفسية هذا العصر ، واطلاعاً على ما تجدد من العلوم والأفكار والمسائل والحاجات ، أنشأ القائمون على ندوة العلماء - وفي مقدمتهم مولانا محمد علي المونكيرى - مدرسة دار العلوم في لكهنؤ سنة ١٣١٦هـ ، ورسالتها الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، والتصلب في العقيدة والمبادئ ، والتوسع في الجزئيات والوسائل ، وقد خرجت علماء ومؤلفين كانوا ملتحقاً بالثقافتين وبرزخاً بين الطائفتين ، وقد ألفوا في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى كتاباً هي خير ما ألف إلى الآن للجيل الجديد ، ولا يزال كتاب «سيرة النبي» في ستة مجلدات كبار للعلامة شبلى النعمانى (م ١٣٣٢هـ) وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى<sup>(١)</sup> أعظم مؤلف في

(١) توفى رحمه الله في ١٣ من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ (١٦ نوفمبر ١٩٥٣م) .

السيرة النبوية وتعاليم الاسلام لا يوجد له نظير في مكتبة الاسلام الحديثة ، ولا يزال لهذا المركز التعليمي نشاط وإنتاج .

### حركة التبليغ وصاحب دعوتها مولانا محمد إلياس :

واختصر وازين حديثي هذا بذكر دعوة وحركة دينية قوية كان لي شرف الاتصال بها عن كتب لا عن كتب ، وشرف التعرف بمؤسسها - وبالأصح داعيها - وقد صحبته مدة ، ورافقته في السفر والحضر ، فهذا لون جديد من الحديث ، وأريد أن أحدثكم أولاً عن صاحب هذه الدعوة فإن الفكرة تتضح كثيراً بمعرفة صاحبها ، وهنا أكرر لكم ما تحدثت به من محطة الاذاعة الهندية في دهلي عن صاحب هذه الدعوة وتأثرى به ، وكان موضوع الحديث «رجال عرفتهم وأعجبت بهم» .

«في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠) خرجت مع رفيقين أطلع مشاريع التعليم والتربية ومراكرهما في الهند ، وانتهت بي هذه الرحلة إلى دهلي ومنها إلى ميوات ، الرقعة التي هي مشهورة في التاريخ باللصوصية والشطارة والنهب والغارة ، حتى كانت أبواب سور مدينة دهلي تقفل من بعد الغروب خوفاً من هؤلاء اللصوص ، فسمعت أنها مجال كبير لاصلاح ديني خلقى جديد ، ولما زرتها وجدت انقلاباً مدهشاً في الأخلاق والنفوس ، تنقلت في القرى والأماكن ، وتتبع الأخبار ، فعلمت أن الناس الذين كان القتل عندهم أهون شئ ، وقد يقتلون الإنسان لأمر تافه ودرهم زائف ، صاروا الآن يحرسون الأموال والأعراض ويعفون عن المحارم ، رأيت فيهم إقبالاً على العلم وتواضعاً وحفاوة وضيافة ودماثة خلق وإيثاراً على النفس

وألفة ومودة لا توجدان في هذا العصر المادى ، وعزوفاً عن الشهوات وصبوراً على المشاق وإيماناً وصلاًحاً ، وعلمت أن ألوفاً من الناس هناك تأثروا بهذا الاصلاح وانقلبت نفسيتهم إنقلاباً عجيباً . هنالك فحصت عن منبع هذا الانقلاب فسمعت أن لا جمعية ، ولا جامعة ، ولا دعاية ، ولا صحيفة ، ولا كتاب ، إنما هو رجل متواضع فى دهلى ، قد بث الروح فى هذه الأمة المنحطة وهذب النفوس ونشر الدين والعلم ، وحدا بى الشوق إلى زيارته فجنث إلى دهلى فإذا هو رجل نحيف أسمر اللون ، قصير القامة ، كث اللحية تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية ، على وجهه محابيل الهم والتفكير والجهد الشديد ، ليس بمفوه ولا خطيب ، بل يتلعم فى بعض الأحيان ويضيق صدره ولا ينطق لسانه ، ولكنه كله روح ونشاط وحماسة ويقين ، لا يسأم ولا يمل من العمل ولا يعتربه الفتور والكسل .

صحبت (مولانا محمد إلباس) مركز هذا النشاط الذى وصفته مدة طويلة ، وراففته فى السفر والحضر ، فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لى من قبل ، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذى استطعت به أن أفهم يقين الصحابة ، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة ، وإيماناً بحقائق الاسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات والمحسوسات وبخواص الأشياء والأدوية ومضارها ومنافعها ويتجارب حياتنا ، فكان كل شىء صح فى الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة والنار رأى عين .

ورأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم ، كأنه على حسك السعدان ، يتململ تململ السليم ، ويتنفس الصعداء لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة ، وعن غاية هذا السفر العظيم وعن خالق هذا الكون ، ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها في غير محل ، ولا أجد له مثلاً إلا كالذي يرى الحريق في بيت وقد أحاطت النيران بأولاده وأسرته ونفائسه ، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار ، وعرفت برؤيته معنى الحب ، وفهمت ما روى عن العشاق والمتميمين ومن استولى عليه الحب ، وصدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية .

ثالثاً وأخيراً رأيت في هذا الجسم النحيل الذي كاد يعجز عن أن يحمل ثقله روحاً قوية جداً ، وقوة إرادة وقلب لم أجد مثلها في الشبان الأقوياء والأبطال الأشداء ، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصبة أولى القوة ، وقد يظل في أسفاره أياماً متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال ويسهر ليلالي ، وأعجب ما رأيت أنه كان في مرضه الذي توفي فيه لا يستطيع القيام والقعود ، ولكنه يأتي إلى الصف يتهدى بين رجلين ويقوم للصلاة ولا يستقل بنفسه ، فإذا كبر الامام تركه الرجلان وقام بنفسه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون مساعدة ، حتى إذا سلم الامام خارت قوته وعاد ضعيفاً لا يستطيع النهوض ، وبقي هكذا شهوراً وما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التي توفي فيها .

### الدعوة ومبادئها :

هذا صاحب الدعوة ، وكلمة وجيزة عن الدعوة .

لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلل والافلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة وما أثرت فيهم الحكومة الانجليزية ، والحضارة الغربية والتعليم المدني ، وغفلة الدعاة ، والاشتغال الزائد بالحياة ، والانهاك بالمادة حتى صارت المدارس الشرعية . والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط ، وأصبحت تتأثر بمحيطها التائر على الدين ولا تؤثر ، بضعفها وعزلتها عن الحياة ، فرأى أن التعليم وحده لا يكفي ، والاعتزال لا يفيد ، والانزواء لا يصح ، ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب ، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ، ويجب أن يبدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الاسلام ثم الأركان والعلم والذكر ، مع مراعاة الآداب التي تقوى هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ، منها إكرام كل مسلم ، ومنها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك ما لا يعنيه ، وقد دعا إلى هذا النظام بكل قوته ونفوذه ، ودعا إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة وبها في القرى والمدن ، وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن الدين وأعظمها جهالة وضلالة ، وهي منطقة ميوات في جنوب دهلي عاصمة الهند ، ودعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم والخروج من أوطانهم لمدة محدودة قد تكون شهراً وقد تكون أكثر من ذلك ، وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه ، وقد قبل دعوته مئات وألوف من هذه المنطقة ، وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها ركباناً ومشاة ، فتغيرت أخلاقهم ، وتحسنت

أحوالهم ، واشتعلت عواطفهم الدينية ، وانتشرت الدعوة في الهند وباكستان من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية ، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الاسلام ، وتذكر بالدعاة المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين .

وقد توفى إلى رحمة الله تعالى في رجب عام ١٣٦٣هـ وخلفه نجله الشيخ محمد يوسف وقام بأعباء الدعوة خير قيام وفي عهده توسعت الحركة توسعاً كبيراً ، وانتشرت بعثاتها في العالم الاسلامي وفي الغرب ، ودعا إلى الإيمان وإيثار الروح على المادة ، والآخرة على الدنيا ، والاعتماد على الله وبذل الوسع والطاقة في سبيل الله ، دعوة قوية صريحة أثرت في ألوف من الناس فأصبحوا دعاة متطوعين ، ولا يزال مقره «نظام الدين» في دهلي مركز حياة دينية ودعوة إيمانية ، يؤمها الناس من جهات بعيدة<sup>(١)</sup> .

### جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة :

هذا تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند باختصار وهذه مراحلها وأدوارها ووصفها الموجز ، وأنا أعتقد أن الدعوة في حاجة دائمة إلى التجديد والتفكير ، والتطبيق بين الاسلام الخالد والعصر المتغير ، واستعراض الشئون والمسائل وما يطرأ على الحياة والعقول من الضعف والقوة ، والجدلة والتطور . وأن العصمة لله وحده وأنه لم

---

(١) توفى مولانا محمد يوسف إلى رحمة الله تعالى في ٢٩ ذو القعدة سنة ١٣٨٤هـ ، وخلفه الشيخ انعام الحسن الكاندهلوى حفظه الله ، والدعوة في تقدم واتساع .

يختم شيء مما أكرم الله به هذه الأمة إلا النبوة التي ختمت بمحمد ﷺ آخر الرسل وخاتم الأنبياء ، وأن كل ما ذكرنا نماذج ومثل للدعوة الإسلامية ، وأنماط لها وأساليب ، ومناهج وطرق يلهمها أصحاب النفوس الزكية في مختلف العصور والبلاد ، أو يؤثرونها في ضوء الكتاب والسنة .

### جهود اصلاحية وتربوية أخرى :

وقام رواد الاصلاح ومحبو نهضة المسلمين وعزهم بتجارب كثيرة في مجال الدعوة الدينية ، والتعليم والتربية الاسلامية ، ونشر الفكرة الصحيحة ، ومكافحة الغرب الثقافي ، والغزو الفكرى ، وإعادة الثقة إلى نفوس الشباب المتعلمين بالتعاليم الاسلامية ، والحضارة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، وإزالة العقد النفسية والفكرية ، بأساليب مختلفة وطرق شتى - في ضوء تجاربهم ودراساتهم - تختلف في النتائج والآثار وفي ضيق النطاق واتساعه ، وفي مدى تقبل المسلمين لها وانتفاعهم بها ، يطول الحديث فيها ، وتقتصر هذه العجالة عنها ، وقد ألفت في التعريف بهذه الجهود والمنظمات وأهدافها ونتائجها ، رسائل وكتب في اللغة العربية . تحيل عليها ونشير على القارئ الذى يحب التوسع بمطالعتها .

وأنا أعتقد كذلك أن جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة ، ليست ملكاً لبلد دون بلد ولا احتكاراً في شعب دون شعب ، بل هى بضاعة المخلصين في كل بلد ، وبراس المصلحين في كل عصر ، يحق لهم أن يقولوا كلما أهديت إليهم ونقلت عن بلاد إلى بلادهم : «هذه بضاعتنا ردت إلينا» .

## الفصل الثالث

دور الجامعات الإسلامية المطلوب  
في تربية العلماء وتكوين الدعاة ، وحماية  
الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة





## دور الجامعات الاسلامية المطلوب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين  
وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان  
ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتى الأجلاء . وزملاى العاملين فى مجال التعليم والتربية ،  
وإخوانى المعنين بخاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها ، ورسالتها  
وشخصيتها (١)

أنتهز هذه الفرصة الكريمة التى لا تسنح إلا بعد آجال طويلة ،  
للتحدث فى موضوع أعتقد أنه بالنسبة إلى الأمة الاسلامية والعالم  
الاسلامى . قضية حاسمة شديد الحساسية والخطورة . وأومن  
باخلاص وفى حماس أنه إذا لم يكن لهذا الإلتقاء العلمى التعليمى  
الاسلامى العالمى الكريم قيمة ونتيجة فيه ، كان إلتقاءً مباركاً حاسماً  
يملى تاريخاً جديداً ، ويفتح عهداً سعيداً للأمة الاسلامية بإذن الله  
تعالى . ويزيد هذا اللقاء قيمة ومكانة وجود عدد كبير أو أكبر عدد  
متيسر- إذا لم أكن مبالغاً أو متفائلاً أكثر- من أصحاب  
الاختصاص فى التعليم الاسلامى ، والأساتذة الكبار والمشرفين على  
الجامعات الاسلامية وقادتها وموجهيها ، وبحق لى لذلك أن أخطب  
نفسى بما قاله الشاعر العربى القديم وأنشد :

حمامة جرعى حومة الجنادل اسجعى  
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

(١) اعدت هذه المحاضرة لمؤتمر تكوين الدعاة الذى انعقد فى القاهرة من ٢٠/٨-

١٤٠٧/٨/٢٢ هـ .

## الغاية الأولى والأساسية من التعليم :

أيها السادة ! وفقنى الله أن أقرأ كثيراً مما يتصل بالتعليم والتربية وغايتها المنشودة ، والفائدة التي يجب أن تجنى منها ، لكي أكتفي بهذه المناسبة بتقديم شهادة واحدة فيما يتعلق بتعريف العلم وتحديد غرضه لخبير تعليمي بريطاني معروف ( Sir Percy Neinn ) من مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية :

«لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية ، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها ، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ ، تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة ، وترى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب ، وتمد يدها إلى الأمام»<sup>(١)</sup> .

إن هذا التعريف بالتعليم والتربية هو أروع وأجمع وأكثر توافقاً مع العمل والتطبيق من بين جميع المحاولات التي بذلت في سبيل التعريف بالتعليم والثقافة .

ما هي غاية التربية ؟ وماذا يراد من روائها ، لماذا تبدل المواهب الفنية على التعليم ، ولماذا تنفق قوى الأمة بسخاء وعلى طريقة منظمة ، ألكي يوجد التعليم فجوة بين الأمة وبين ما تعتر به وتبناه من معتقدات وأغراض ، وتراث حضارى وعلمى وتصورات ، سواء كان كل ذلك مما ينبغي الاعتزاز به أم لا ، لكن الشيء الذي

(١) دائرة المعارف البريطانية ، بند «التعليم»

(Education) The Encyclopedia Britannica.

نحبه ، والمعتقدات التي تعتر بها ، والتصورات والقيم والمثل والعقائد والأفكار التي تتغنى بها ، والتراث الذي توارثته من آباؤها وأسلافها ، من وظيفة التعليم الأولى أن يربط بين الأمة وبين هذه الأشياء ، وينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة والنشء الجديد ، ذلك التراث الذي أفرغ عليه سلفها خير قواهم ومواهبهم ، وبدلوا مدة طويلة من وقتهم ، وربما قاتلت تلك الأمة في سبيله وحاربت وجاهدت وضحت بعزها وشرفها ومجدها التليد ، ومن الفضول أن نتعرض بهذه المناسبة لما إذا كانت القيم التي حاربت الأمة من أجلها قيماً صالحة أم لا ؟ لكن مسئولية التعليم أن ينقل هذا التراث إلى الأجيال المتلاحقة ، ولا يقتصر على النقل والتصدير فحسب ، بل يعمقه في القلوب والأذهان ، ويجعل القلوب والعقول تسيغه وتذوقه ، ولا يعود نائياً لديها أو جنبياً عندها ، بل يعود مألوفاً لها ومحبوياً عندها ويصير طبيعة لها .

### أمة محمد ﷺ أمة ممتازة في خصائصها ومزاياها ، وصياغتها وعناصر تركيبها :

أرى أن هذا التعريف بالتربية بقلم خير بريطاني تعريف جامع جداً ، لكن إذا كان الأمر أمر أمة عقائدها وقيمها ليست من عند نفسها ، بل هي نابعة من الوحي الإلهي ، والكلام الإلهي ، والنبوة والرسالة ، والعلم اليقيني الغيبي الأزلي الذي لا يحول ولا يزول ولا يتغير قليلاً أو كثيراً ، فهناك تتضاعف المسئولية وتتضخم .

فإذا كان هناك تعليم يزعزع عقائد تلاميذه - من شعور أو من غير شعور ، عن قصد أو عن غير قصد ، عن خطأ أو عن خطة

مدبرة - ويزعزع جذور قيمهم في قلوبهم . ويفكك عراها ويمزقها  
ويثير في قلوبهم شكوكاً وشبهات لا تزول . وصراعاً نفسياً ،  
ويتجاوز هذا الصراع الافراد إلى الحياة الاجتماعية للأمة ، ويتحول  
الصراع إلى حرب دامية شعواء بين تلك القيم والمفاهيم والتصورات  
والمعتقدات . والأفكار والعقائد . وبين ذلك الجيل المثقف بذلك  
التعليم وتلك الثقافة . فالأمر أدهى وأمر .

أيها السادة ! إنى لا أؤمن بالاسلام كتراث ( Legacy ) ولا  
أرى ذلك تعريفاً لائتقاً بالإسلام : ولذلك فإنى لست معجباً  
بالكتب التي وضعت بعنوان : ( Legacy of Islam ) و  
( Heritage of Islam ) إنى أرى الإسلام رسالة للحياة ، ولا أراه  
قادرأ على مسابرة الزمان فحسب ، بل أراه قائداً للزمان ، وموجهاً  
له ، لا أراه مرافقاً للزمان في رحلة الحياة بل أراه مرافقاً للزمان  
ومراقباً له ، فإذا كان هنالك مثقف بالتعليم العالي يقع فريسة الشك  
والارتياب في جميع قيمه وتصوراته ومعتقداته ، أو يعود يراها دمي  
يسلى بها الصبيان والأطفال ، أو اسطورة يتعلل بها السذج  
والجهال ، أو يصبح لا يتحمس لها ، ولا يقاتل في سبيلها ولا  
يدافع عنها ولا يعامر من أجلها إذا مست الحاجة إلى ذلك ، إذا  
كان ذلك فإن هذا التعليم عدو لدود لمن يحصله يجب أن يفر منه فرار  
الإنسان من الأسد بل أكثر من ذلك .

**قضية البلاد الاسلامية أهم وأكبر خطراً :**

أيها السادة ! وحين أتحدث إليكم في هذا الحفل الكريم ، وفي

رحاب جامع الأزهر الشريف ، فإنى أخطب العالم الاسلامى كله ، إن الأمر يصبح ذا خطورة وحساسية وتعقيد إذا كان يتعلق ببلد إسلامى ، تعيش فيه أمة ذات شخصية ، وذات خصائص ومميزات ، ذات دعوة ورسالة ، ومكلفة بقيام دور فريد فى العالم البشرى ، تنبع معتقداتها وقيمها ومثلها ، وتصوراتها وأفكارها ، ووجهات نظرها من الوحي الالهى ، فإذا كان التعليم يحدث صراعاً فى مثل هذا الجيل ، ويجعله يخلع معتقداته وتصوراته العريقة بعد ما يتخرج فى جامعة عصرية ، ويصبح وكأنه أمة جديدة أو أمة أجنبية تبدو نائية قلقة بين الشعب المسلم ويحصل من ذلك كله تعقيد جديد ، وتحدث مشكلة جديدة ويحدث صراع مرير - وقد يكون صراعاً دموياً - بين هذا الجيل المثقف وبين عائلته الاسلامية وآبائه وأمهاته ، وبين المجتمع الذى هو عضو فيه ، وبين تاريخه وتراثه ، وقيمته وآثر أسلافه ، وبين منصبه ومكانته التى حباها الله إياه ، وبين رسالة الاسلام والعمل الاسلامى ، وآمال الأمة الاسلامية وأحلامها ، إذا كان كل ذلك فإنى لا أرى فى هذا التعليم خيراً ، ولا أراه خدمة للإنسانية ، بل إنه خيانة للأمة وجناية على الانسانية .

### المسئولية الأولية للجامعات فى بلد إسلامى :

ومعذرة إليكم فإنى لا أشير إلى جامعة بعينها ، ولا إلى المسئولين عن جامعة محدودة ، وإنما أتعرض لأمر مبدئى وأريد أن أقرر أن المسئولية الأولى والأهم والأقدم للجامعة تقوم فى بلد إسلامى ، هى أن تؤكد إيمان الأمة بالعقائد والأفكار التى تؤمن بها ، والحضارة

التي تختصها والدعوة والرسالة التي تنبأها ، والخصائص والمزايا التي تحملها ، حتى لا يعود هذا الإيمان إيمان رجل عادى أو إيمان رجل الشارع بل يكون إيمان عالم ، إيمان مثقف ، إيمان دارس ، ويطمئن عقله كما يطمئن قلبه ، ولا يعود كما يقول الدكتور محمد إقبال : «قلبه مؤمن وعقله كافر» ، مشيراً إلى فيلسوف غربي ... وإذا كان الصراع لا يجوز بين الفرد والجماعة ، فإنه كذلك لا يجوز بين القلب والعقل في حياة المرء الانفرادية ، فإذا كانت هناك جامعة تسبب هذا الصراع ، أو يسيبه منهاجها التعليمي ومنهاجها العلمي ، ونظامها الإداري ، وبيئتها العلمية ، فذلك شؤم بعده للبلد الذي تقوم فيه الجامعة .

### لابد من اطمئنان القلب والعقل معاً :

إن الغاية الأساسية للجامعات الاسلامية ، أن توجد الإيمان بتلك الأشياء التي أشرت إليها ، الإيمان الذي يأتي عن طريق العلم والثقافة والدراسة ، وعن الشعور والتفكير ، وعن طريق اقتناع العقل ، وعن الدراسة المقارنة ، وإذا كان هناك رجل إنما يؤمن قلبه ولا يطمئن عقله ، وهو يعلى عقله ويسليه ، ويحاول أن لا يستيقظ عقله ، شأن الأمم غير المسلمة العديدة التي ترى بقاء دياناتها ورفقها في عدم يقظة الشعور ، وتحاول أن يظل أتباعها سادرين في سبات الغفلة ، مسلوداً عليهم منفذ النور والهواء ، ومن هنا وقع بين «الكنيسة» و«العلم» ذلك الصراع الدموي الذي تقرؤون قصته المؤلمة المفجعة في كتاب «الصراع بين الدين والعلم» (Conflict Between Religion & Science) للعالم الأمريكي المعروف